طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن بئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

عبد السلام أبومالك مشرف برنامج مراسلو الجزيرة:

من محاولة تقليد صحفيي "البي.بي.سي" لتعلم النطق بالإنجليزية إلى الإشراف على مراسلي الجزيرة

ككثير من الزملاء الذين حلقوا مهنيا في سماوات الهجرة، تخرج عبد السلام أبو مالك من مدرسة فهد للترجمة بطنجة، ومرّ من الـ "بي. بي. سي" ليستقر مسؤولا عن برنامج "مراسلو الجزيرة". يعتبر نفسه جندي خفاء، يحارب في جبهات الأخبار ويراكم التجربة، وبالتالي فهو اليوم واحد من الكفاءات الإعلامية المدخرة في الخارج في انتظار أيام أحلى بالمغرب.

حاوره: **عبد الإله سخير**
sakhir72@gmail.com

كيف أغرمت بمهنة الصحافة؟

■ لم يكن غراما في حقيقة الأمر ولم يكن حبا من أول نظرة. كنا نسمع ونقرأ بأن الصحافة مهنة المتاعب وأنها مهنة من لامهنة له. ولذلك لم أفكر إطلاقا في الاقتراب منها أو طرق بابها. كنت منشغلا عنها بأشياء أخرى، لكن شاءت الأقدار أن تقودني إليها من خلال التخصص الذي اخترته في الجامعة، وهو اللغة الإنجليزية وآدابها.

كيف ذلك ؟

■ كنت أستعين بالقسم الإنجليزي لهيئة الإذاعة البريطانية لأتعلم طريقة النطق الصحيحة لبعض الكلمات الإنجليزية القديمة في كلاسيكيات المسرح العالمي وخاصة الأعمال الخالدة للكاتب المسرحي وليام شكسبير. وقد ترجمت هذه الأعمال إلى العربية وقدمت إلى المستمعين عبر القسم العربي للـ"بي. بي. سي" في برنامج كان يحمل اسم " المشاهد الكبرى " إن لم تخني الذاكرة، وكانت من إخراج المسرحي المصري الراحل فاروق الدمرداش، وكنت أستمتع بها بشكل كبير. تعرفت من خلال هذا البرنامج على مسرحيات "الملك لير" و"مكبث" و"هاملیت" و"عطيل" وغيرها من المسرحيات. وحتى لايفوتني الاستماع لهذه الأعمال الأدبية الرائعة كنت أترك مؤشر الراديو على موجة "البي. بي. سي". ولأن معظم ما كانت تقدمه الإذاعة له علاقة بالأخبار والشؤون الدولية بدأت أتوق لمعرفة ما يدور حولي في هذا العالم المتغير بصورة كبيرة وسريعة.. فبدأت أهتم بالمتابعة الإخبارية وأنوّع مصادري سواء عبر الجرائد والمجلات أو من خلال استماعي لبعض الإذاعات الأخرى، خاصة "ميدي آن" وإذاعة طنجة في برامجها الليلية التي كنت أستمتع بمتابعتها، لكن "البي. بي. سي" العربية كان لها أثر أكبر.

هكذا كانت الإرهاصات الأولى. لكن العلاقة مع هذه الإذاعة توثقت أكثر بعد أن قررت دراسة الترجمة في مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة.

والحقيقة أن هذه المدرسة كانت تحظى بطاقم تدريسي عالي الكفاءة، وكان لها فضل كبير على كثير من خريجيها، وأنا واحد منهم، فقد فتحت لنا آفاقا واسعة وفتحت أعيننا على عوالم أخرى لم نكن نفكر فيها من قبل. ومعظم زملائي من الدفعات الأولى شقوا طريقهم بنجاح، سواء داخل المغرب أو خارجه، وكثير منهم يعملون الآن بمؤسسات إعلامية كبرى ومنظمات دولية كالأمم المتحدة وفروعها في جنيف وفيينا وغيرها.. في هذه المدرسة تعرفت إلى أساتذة أجانب زائرين كان لهم بالغ الأثر في توجهي، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور صفاء خلوصي، وهو من كبار المترجمين العرب وله مؤلفات في مجال الترجمة والأدب، والدكتور صلاح نيازي، إعلامي وشاعر ومترجم مختص في الأدب الإنجليزي، والأستاذ نبيل اسكندر، وكلهم يجمعون بين الترجمة والإعلام وكانت لهم برامج خاصة في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية.

ومنذ ذلك الحين بدأت علاقتي تتوثق مع هذه الإذاعة وأصبحت مواظبا على متابعتها، وبدأت أفكر في تغيير توجهي من الترجمة إلى الصحافة، وهو ما حصل في وقت لاحق عندما تركت وظيفتي كمترجم في إحدى الشركات الخاصة للالتحاق بالسلك الثالث في المعهد العالي للصحافة، الذي أصبح في ما بعد المعهد العالي للإعلام والاتصال.

ما هي المؤسسات الصحفية التي اشتغلت بها داخل المغرب ؟

■ بدأت خطواتي الأولى عبر دورات تدريبية في مكتب جريدة "الشرق الأوسط" وفي القناة التلفزيونية الأولى. لكن مساري المهني كصحفي انطلق من وكالة المغرب العربي للأنباء، كان ذلك مباشرة بعد إنهاء دراستي بالمعهد العالي للصحافة. عملت صحفيا بديسك التحرير العربي، وفيه حاولت تطبيق المعارف التي اكتسبتها خلال الدراسة. وتعلمت أساسيات العمل الصحفي الخاص بوكالات الأنباء على يد زملاء سابقين بالوكالة ومدربين زائرين من وكالة الأنباء الفرنسية . وماتزال تربطني علاقة وثيقة مع بعض الزملاء، منهم من غادر إلى مؤسسات إعلامية أخرى أو انتقل إلى مكاتب خارجية للوكالة ومنهم من مايزال على رأس عمله.

عبد السلام أبو مالك أمام مقر "البي بي سي"

كيف جاءت فكرة السفر إلى الخارج؟

■ لكل واحد منا حلمه. كان حلمي أن ألتحق بهذه المؤسسة الإعلامية العريقة التي وصفها الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان بأنها أعظم هدية قدمتها بريطانيا للعالم. ظل هذا الحلم يراودني إلى أن جاءت فرصة بالصدفة المحضة. فقد وقعت عيني على إعلان في أحد الأعداد السابقة لجريدة "الشرق الأوسط" التي كنت أحتفظ بها في البيت . كان الموعد المحدد قد انتهى، لكن الحلم كان أقوى من أن أتخلى عن شرف المحاولة، فسارعت بإرسال طلب للجهة المعنية وجاءني الرد بعد فترة وجيزة. كان الاختبار مقسما على ثلاث مراحل: قراءة نصوص إخبارية وتسجيلها على شريط صوتي، وبعده اختباران في الثقافة العامة والترجمة من الإنجليزية إلى العربية، وأخيرا مقابلة شفهية. والحمد لله اجتزت الاختبار والتحقت بعملي الجديد في لندن. كان ذلك عام 1994، وهوالعام الذي أطلقت فيه "البي. بي. سي" أول قناة تلفزيونية باللغة العربية، لتضاف إلى الإذاعة الشهيرة التي عرفها الناس في عموم العالم العربي من خلال "دقات بيغ بين" وعبارة "هنا لندن"، التي كانت تعني لدى الكثيرين الدقة والمصداقية في نقل الأخبار. ولذلك كان المغاربة يفضلون هذه الإذاعة لمعرفة ما يدور حولهم من أحداث في مختلف أنحاء العالم.

أما دقات "بيغ بين" فكانت تخترق أسماع الناس في الأسواق، من خلال أجهزة "الترانزستور" الصغيرة التي كانت تنبعث منها أصوات إذاعية جميلة تجيد القراءة بلغة عربية سليمة وإيقاع جميل تطرب له الأذن.

كان ذلك قبل عصر الطفرة الفضائية وقبل أن تعج سماؤنا بمئات الفضائيات التي غيرت الكثير في خريطة المشهد الإعلامي العربي.

كيف كانت تجربتك الصحفية في "البي. بي. سي"؟

■ كانت تجربة جميلة حقيقة، ومن الصعب نسيانها لأنها كانت بالنسبة لي أول احتكاك بالإعلام التلفزيوني في شكله الحديث. لكن هذه التجربة للأسف لم تدم طويلا، فقد حال خلاف بين هيئة الإذاعة البريطانية وشركة "أوربت" السعودية دون

استمرار العقد الموقع بينهما، ومدته عشر سنوات. كان الخلاف حول استقلالية الخط التحريري للقناة التي كانت تستضيف بعض المعارضين السعوديين المقيمين في لندن كمحمد المسعري وسعد الفقيه، وهو الأمر الذي لم يرق بالطبع لهذه الشركة المملوكة لمستثمرين سعوديين. لكن الضربة القاضية جاءت بعد أن بث القسم الإنجليزي لتلفزيون "البي. بي. سي" حلقة من برنامج "بانوراما" حول حقوق الإنسان في السعودية، وأعاد القسم العربي بثها بعد ترجمتها ودبلجتها. وبعدها بيومين أو ثلاثة على ما أذكر توقف بث القناة الوليدة وأسدل الستار على هذه التجربة التي لم تدم سوى سنتين. وهكذا وجد العاملون في هذه المحطة أنفسهم فجأة بدون عمل. لكن في هذه الأثناء، بدأت تظهر في الأفق مشاريع إعلامية واعدة في منطقة الخليج العربي، خاصة في الإمارات وقطر. كان أول عرض تلقيته من مؤسسة "الفاينانشال تايمز" التي كانت تزود قناة دبي بخدمة إخبارية اقتصادية، لكن العقد كان لفترة مؤقتة لا تتجاوز العام. وقبل أن أتخذ قرارا في الموضوع، تلقيت عرضا آخر من تلفزيون أبوظبي الذي كان يعتزم إطلاق خدمة إخبارية جديدة . وهكذا كان . توجهت إلى أبوظبي، فيما توجه معظم زملائي إلى الدوحة واختار آخرون البقاء في لندن. وشاءت الأقدار أن نلتقي مجددا بعد نحو عامين في قناة الجزيرة، وهكذا هي حال الإعلاميين اليوم، ترحال مستمر وتنقل بين المحطا.

ماذا عن تجربتك في قناة الجزيرة؟

■ تجربة الجزيرة كانت ثرية جدا من الناحية المهنية، لكنها كانت مرهقة أيضا. عملي بالأساس كان في مجال إنتاج النشرات الإخبارية والبرامج السياسية، وهو عمل فيه الكثير من الإجهاد والتوتر بسبب المتابعة الحثيثة لكم هائل من الأخبار المتدفقة عبر الوكالات المكتوبة والمصورة، ومتطلبات الدقة والسرعة في نقل هذه الأخبار وترتيبها ضمن جدول زمني، وكل ذلك تحت ضغط الوقت والمواعيد المحددة التي لا تسمح لك أحيانا بالتفكير بروية أو التقاط الأنفاس للغوص في تفاصيل الخبر والإحاطة به من كل الجوانب. ومع كل هذا العناء، فأنت مجرد جندي مجهول لا يعرفك المشاهد ولا يدري حجم الأعباء والضغوط الواقعة على كاهلك. لكن ذلك يعلمك أيضا الصبر والتحمل والتعايش مع الضغوط، ويعطيك فرصة للتعلم من الأخطاء وصقل مهاراتك. من حسن حظي أني عملت أيضا كمراسل وغطيت في مناسبات عدة أهمها في العراق قبيل وبعد سقوط النظام عام 2003، حيث كنت أنتج برنامجا يوميا تحت عنوان "العراق بعد الحرب". غطيت أيضا من باكستان تداعيات أحداث الحادي عشر من شتنبر، وأحداثا أخرى في افغانستان وجنوب إفريقيا والأراضي الفلسطينية ولبنان وغيرها.

كما أتيحت لي أيضا الفرصة لتقديم برنامج "مراسلون"، وهو من أوائل البرامج التي كانت تقدم على شاشة الجزيرة إلى غاية 2012. وهو من إنتاج شركة استرالية، كانت تبيعه حصريا في العالم العربي لقناة الجزيرة. كان البرنامج يتميز بتقارير مطولة من مناطق لم نكن نصل إليها أو تصل إليها أي قناة عربية أخرى، بعضها من الدول المغلقة إعلاميا ككوريا الشمالية وميانمار وطاجكستان، وبعضها غير معروف كجزر مارشال وبابوا غينيا وأخرى نائية كالنيبال والتبت ومنغوليا وغيرها من البلدان. كما تميز بالسبق في تغطية بعض الأحداث قبل أن تتطور وتأخذ بعدا إعلاميا أكبر مثل مأساة مسلمي بورما المعروفين باسم الروهنغيا، وتسريبات موقع ويكليكس الشهير ومؤسسه جوليان أسانج الذي خصص له البرنامج حلقة تحت عنوان "الرجل الأخطر في العالم". باختصار كان البرنامج نافذة أسبوعية كنت حريصا على أن أقدم من خلالها ما يفيد المشاهد.

هذا من الناحية المهنية، أما من الناحية الثقافية، فقد أتاح لي احتكاكي بكل الجنسيات العربية التعرف على اللهجات المحلية لكل بلد وطرق التفكير لدى أشقائنا في عموم الوطن العربي الكبير. فالجزيرة أشبه ما تكون بجامعة عربية حقيقية، فيها كل الجنسيات من المحيط إلى الخليج.

أنت تعمل الآن مشرفا على برنامج "مراسلو الجزيرة"، صف لنا ظروف وإكراهات طبيعة عملك؟

■ برنامج "مراسلو الجزيرة" هو نسخة جديدة لبرنامج قديم يحمل نفس الاسم لكنه توقف عام 2006، وقررت الإدارة إعادته مرة ثانية إلى الخريطة البرامجية قبل نحو عام، لكن بتصور جديد يقوم على تداول المراسلين على تقديمه من حيث يقيمون. نحرص من خلاله على تقديم تقارير خاصة ومنوعة قد تكون إنسانية أو اجتماعية أو ثقافية أو غير ذلك لكنها بعيدة عن الشأن السياسي الآني. والهدف هو تخفيف الجرعة السياسية الطاغية على التغطيات الإخبارية في شاشة الجزيرة.

وماذا عن علاقتك مع المراسلين؟

■ علاقتي مع المراسلين هي علاقة زمالة يطبعها الاحترام المتبادل. نعمل كفريق واحد وبهدف واحد هو تقديم مادة تلفزيونية تجمع بين المتعة والفائدة. متعة الصورة وجماليتها، والمعلومة المفيدة. ولكن للأسف ليس للبرنامج طاقم متفرغ من المراسلين حتى الآن، وهو ما يعقد مهمتي كمشرف ومنتج للبرنامج. فالمراسلون مطالبون بإعداد تقارير إخبارية يومية، خاصة مع التطورات المتلاحقة في عالمنا العربي ومناطق أخرى، وبالتالي فإن التفرغ لإنتاج تقارير مطولة بمواصفات مهنية عالية على مستوى الصورة والمونتاج والنص المكتوب هدف بعيد المنال حتى الآن. لكننا مع ذلك لا نستسلم ونستمر دائما في المحاولة .

ما هي أوجه الشبه بين "الجزيرة" والمؤسسات الإعلامية في المغرب؟

■ أعتقد أن المقارنة هنا ظالمة أو كما يقال بالفرنسية Comparaison n'est pas raison، فالجزيرة أطلقت لتكون فضائية عربية متخصصة في الأخبار وشؤون الساعة، وراءها ثقل مالي وإرادة سياسية وكفاءات بشرية. عندما تتوافر هذه العناصر ستكون لدينا بالتأكيد قنوات متميزة قادرة على المنافسة وسط هذا الكم الهائل من الفضائيات ووسائل الإعلام الإلكترونية الجديدة. والحمد لله الكفاءات الإعلامية في المغرب وخارجه كثيرة، تحتاج فقط إلى البيئة المناسبة لتبدع وتعطي أفضل ما لديها، سواء في مجال الإذاعة أو التلفزيون أو الصحافة المكتوبة أو في مجال الإعلام الجديد الذي يستقطب يوما بعد يوم المزيد من المتابعين، وخاصة من فئة الشباب.

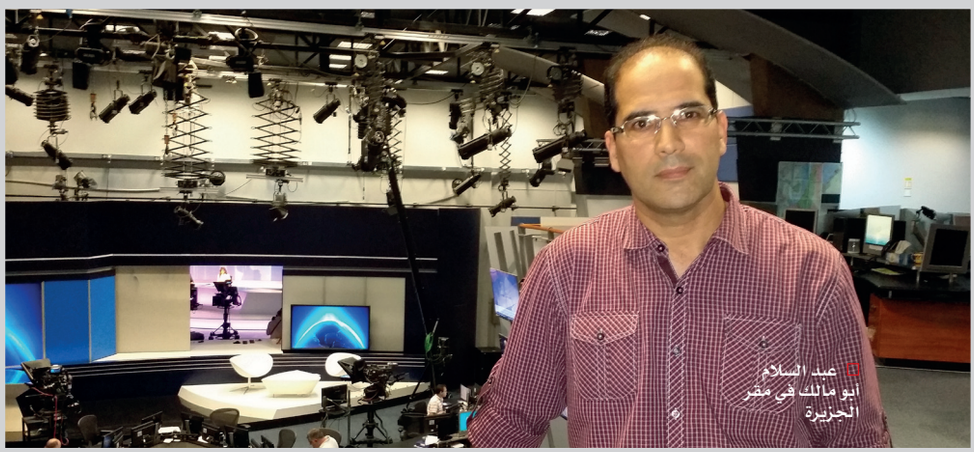
عبد السلام أبو مالك في مقر الجزيرة